مختصر الأوراق في أهمية الأخلاق

تأليف

مكتب البحوث والدراسات



التراث العلمي
مؤسسة التراث العلمي

مختصر الأوراق
في أهمية الأخلاق

تأليف

مكتب البحوث والدراسات



الدولة الإسلامية

مكتب البحوث والدراسات

الطبعة الأولى

مقدمة

الحمد لله البارئ الخلاق، والصلاة والسلام على من أثنى عليه ربه بجميل الأخلاق، وعلى من آمن به من الآل والرفاق؛ **أما بعد:**

فإن جنود وأفراد دولة الإسلام هم طليعة الأمة اليوم في صراعها مع الكفار والمنافقين، فصاروا بذلك قدوات لعامة وخاصة المسلمين، ومحط أنظار المراقبين والناقدين.

وأصبحوا بحق ممثلين للإسلام الحق المغيب عن قيادة البشرية وريادة العالم لعقود من السنين، فوجب عليهم أن يكونوا في مستوى ما اجتباهم له رب العالمين.

وعليه؛ فإن أهم ما يجب أن يتحلى به المجاهد، بعد العقيدة الصحيحة والمنهج السليم، هو مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

وإِنَّما الأُمَمُ الأَخلاقُ ما بَقِيَت... فَإِن هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُم ذَهَبُوا

وقد قيل: (في حسن الأخلاق، سعة كنوز الأرزاق)، وقيل: (صفاء الأخلاق، من نقاء الأعراق).

وروي عن بعض الصالحين أنه قال: (كونوا دعاة إلى الله وأنتم صامتون) فقيل: كيف ذلك؟ قال: (بأخلاقكم).

ولذا فإن من الأهمية بمكان؛ أن نضع بين أيدي أهل الإيمان، هذه السطور القليلة، في الحث على الأخلاق النبيلة.

سائلين المولى عز وجل أن يجعلنا من أهل الأخلاق السامية، والآداب السامقة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتب البحوث والدراسات

فصل

تعريف الأخلاق

الأخلاق مفردها خُلُق، و**الخُلق في اللغة**: العادة، والسجيَّة، والطَّبع، والمروءة، والدِّين.

واصطلاحًا: كما قال الجرجاني في التعريفات ص101: (الخُلُق؛ عبارة عن هيئة للنفس راسخة، تَصدُر عنها الأفعال بِسهُولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة، كانت الهيئة خُلُقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سُمِّيت الهيئة التي تصدر عنها خُلُقًا سيئًا). ا.هـ

وقال العلامة ابن الأثير في النهاية 2/ 70: (الخُلُقُ -بِضَمِّ اللَّامِ وسُكونها-: الدِّين والطَّبْع والسَّجِيَّة، وحقيقتُه أَنَّهُ لِصُورة الإنسانِ الْبَاطِنَةِ وَهِيَ نفْسُه وأوْصافُها ومَعانِيها الْمُخْتصَّة بِهَا بِمَنْزِلَةِ الخَلْق لِصُورته الظَّاهِرَةِ وأوْصافِها ومَعانيها، وَلَهُمَا أَوْصَافٌ حَسَنة وقَبيحة، والثَّواب والعِقاب ممَّا يَتَعلَّقان بِأَوْصَافِ الصُّورة الْبَاطِنَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَعلَّقان بِأَوْصَافِ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، وَلِهَذَا تَكَرَّرَتِ الْأَحَادِيثُ فِي مَدْح حُسْن الخُلُق فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ). ا.هـ

فللإنسان صورتان:

صورة ظاهرة: وهي شكل خلقته التي جعل الله البدن عليه، وهذه الصورة الظاهرة منها جميل حسن، ومنها ما هو قبيح سيء ومنها ما بين ذلك.

وصورة باطنة: وهي حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر، من غير حاجة إلى فكر وروية.

وهذه الصورة أيضًا منها ما هو حسن إذا كان الصادر عنها خلقًا حسنًا، ومنها ما هو قبيح إذا كان الصادر عنها خلقًا سيئًا، وهذا ما يُعبر عنه بالخلق، فالخلق إذن هو الصورة الباطنة التي طبع الإنسان عليها.

فصل

طرق اكتساب الأخلاق

تحصيل الأخلاق يكون بطريقين:

الطريق الأول:

طريقٌ موهوب، وهو عطاء من الله سبحانه، وهذا الخُلق الحسن ليس لنا سبب إليه إلا الهبة من الله سبحانه كما زكى الله سبحانه عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (مريم: 19)، وهذا يسمى الطبع الذي جُبِلَ الإنسان على التحلي به.

الطريق الثاني:

طريقٌ مكسوب، وهو من فعل الإنسان حسنه وقبيحه، ويعرف بالتطبع.

والدليل على أن الأخلاق تنقسم إلى هذين القسمين حديث أشجَّ عبد القيس، وذلك النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمُ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا» قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ. [رواه أحمد وأهل السنن، وأصله في الصحيح].

وكذا ما رواه البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».

ففي هذا ما يدل على أن الأخلاق الحميدة الفاضلة تكون طبعا وتكون تطبعا، ولكن الطبع بلا شك أحسن من التطبع، لأن الخلق الحسن إذا كان طبيعيا صار سجية للإنسان وطبيعة له، لا يحتاج في ممارسته إلى تكلف، ولا يحتاج في استدعائه إلى عناء ومشقة، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن حُرم هذا -أي حُرم الخلق عن سبيل الطبع- فإنه يمكنه أن يناله عن سبيل التطبع، وذلك بالمرونة، والممارسة.

وقد روي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ» [رواه الطبراني والبيهقي].

قال الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَسْتُ بِحَلِيْمٍ، وَلَكِنِّي أَتَحَالَمُ). ا.هـ [سير أعلام النبلاء 5/ 43].

وقال الشاعر منقر بن فروة:

وَمَا المَرءُ إلا حيثُ يجعلُ نَفسَهُ... ففي صَالحِ الأخلاقِ نَفسَكَ فَاجعَلِ

وقال أبو تمام:

فلم أَجدِ الأَخلاقَ إلا تَخَلُّقًا... ولم أَجِدِ الإفضَالَ إلا تَفَضُّلا

وقال الإمام الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اتباعُ الدِّين، والرجوع إلى الله عز وجل في نَدْبه وآدابه، فيقهَر نفسَه على مذموم خُلُقها، وينقلها عن لئيم طبعها، وإن كان نقلُ الطباع عَسِرًا، لكنْ بالرياضة والتدرج يسهل منها ما استصعَب وُيحَبّب منها ما أَتعب، وإن تقدم قولُ القائل: مَن رَبُّه خَلَقَه كيف يُخَلّي خُلقه! غير أنه إذا عانى تهذيبَ نفسه، تظاهر بالتخلُّق دون الخلُق، ثم بالعادة يصير كالخلُق). ا.هـ

ولا شك أن الشخص الذي جُبل على الخلق الحسن أكمل من حيث تخلقه بذلك، أو من حيث وجود هذا الخلق الحسن فيه، لأنه لا يحتاج إلى عناء ولا إلى مشقة في استدعائه، ولا يفوته في بعض الأماكن والمواطن، إذ أن حسن الخلق فيه سجيه وطبع، ففي أي وقت تلقاه تجده حَسَن الخلق، وفي أي مكان تلقاه حَسَن الخلق، وعلى أي حالٍ تلقاه حَسَن الخلق، فهو من هذه الناحية أكمل بلا شك.

وأما الآخر الذي يجاهد نفسه ويروضها على حسن الخلق، فلا شك أنه يؤجر على ذلك من جهة مجاهدة نفسه، وهو أفضل من هذه الجهة، لكنه من حيث كمال الخلق أنقص بكثير من الشخص الأول.

فإذا رزق الإنسان الأمرين جميعا، طبعا وتطبعا كان ذلك أكمل.

وإن من فوائد معرفة طرق اكتساب الأخلاق الحميدة استثمارها، ومحاولة تطبيق ما يمكن أن يطبّقه المرء من ذلك في محاولةِ الوصول إلى فضيلة اكتساب الأخلاق الحميدة والتحلي بها.

ولعل أهم طرق اكتساب الأخلاق الحميدة ما يلي:

1- معرفة الأحكام الشرعية في المعاملات، وأحكام الأخلاق واستحضار وجوب الواجب وحرمة الحرام؛ فإن هذا هو الوسيلة الأهم في الموضوع.

2- التدريب العمليّ والرياضة النفسية.

3- الحياة في بيئة صالحة.

4- القدوة الحسنة.

5- الضغط الاجتماعيّ من قبل المجتمع المسلم.

6- سلطان الدولة المسلمة.

7- التعرف على القواعد الأخلاقية وعلى أهمية الأخلاق الفاضلة وعلى أهمية تحصيلها، ووسائله، والتعريف بها.

8- التعرّض لتربية المربين، وقبول ما عندهم من الخير ومكارم الأخلاق.

9- اتِّخاذ أخٍ صالح ناصح متحلٍ بالأخلاق الحميدة يُنبّه المرء على أخطائه في السلوك والخُلُقِ، ويساعده على إصلاح نفسه.

فصل

فضل مكارم الأخلاق

لما زكى الله تعالى نبيه الكريم؛ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]".

ولقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الأخلاق وثواب صاحبها، قال النبي ﷺ: **"أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا"** [أخرجه البخاري].

وقال: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" [أخرجه أحمد].

وفي رواية: **"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"** [أخرجه البخاري في الأدب المفرد].

وفي رواية: "وَإِنَّمَا بُعِثْتُ عَلَى تَمَامِ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ" [رواه الطبراني].

وقال: **"إِنَّ الْمَرْءَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"** [رواه أبو داود وغيره].

وقال: **"البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ، والإِثمُ: مَا حاكَ فِي نَفْسِكَ، وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلعَ عَلَيْهِ النَّاسُ"** [رواهُ مسلم].

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا» [متفق عليه].

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَن رَسُول اللهَّ ﷺ قَالَ: **"إن مِنْ أَحَبِّكُم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجلسًا يومَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنكُم أَخلاقًا. وإِنَّ أَبَغَضَكُم إِلَيَّ وَأَبْعَدكُم مِنِّي يومَ الْقِيامةِ، الثَّرْثَارُونَ والمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ" قالوا: يَا رسول اللهَّ قَدْ عَلِمْنَا الثرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: "المُتَكَبِّرُونَ"** [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

وقال ﷺ: **"مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يومَ القِيامة مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ وإِنَّ اللهَّ يُبغِضُ الفَاحِشَ البَذِيِّ "** [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

وقال: **"أَكْمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا، وخيارُكُم خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ"**. [رواه الترمذي وَقالَ: حديث حسن صحيح].

وعن أَبِي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رسولُ اللهَّ ﷺ عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخلُ النَّاس الجَنَّةَ؟ قَالَ: **"تَقْوى اللهَّ وَحُسنُ الخُلُق وَسُئِلَ عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: "الفَمُ وَالفَرْجُ"** [رواه الترمذي].

وعن أَبِي أُمَامَة الباهِلِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: **"أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ فِي ربَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ. وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيتٍ فِي وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ**

تَرَكَ الكَذِبَ، وإِن كَانَ مازِحًا، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ" [رواه أبو داود بإسناد صحيح].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» [رواه أبو داود].

وروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَلْيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ وَجْهٍ وَحُسْنُ الْخُلُقِ» [رواه الحاكم والطبراني والبيهقي].

وفي بعض الروايات: **"فسعوهم بأخلاقكم"** [رواه ابن عساكر].

وروي عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ، وأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟» قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهَّ قَالَ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللهَّ مِنْهُمَا» [رواه الطبراني].

فهذه الأحاديث وغيرها تدلنا على أن كمال الإيمان الواجب والمستحب لا يكون إلا بحسن الخلق، وأن الأخلاق ركن مهم من دعوة نبينا محمد ﷺ، وأنها ترفع درجات صاحبها في الدنيا والآخرة، وتدخله الجنة وتقرب منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الشريعة الإسلامية قد تممت ما جاءت به شرائع الأنبياء من مكارم الأخلاق، وأن حسن الخلق من البر بل هو البر

نفسه والبر هو ضد الإثم والفجور، وأن الأخلاق تستمد من القرآن والسنة وهدي السلف الصالح.

فحري بكل مسلم، فضلًا عن المجاهد صاحب المنهج والعقيدة، أن يتحلى بالأخلاق الحميدة، المقتبسة من كتاب الله وسنة الرسول، والواردة عن الآل والأصحاب العدول.

هي الأخلاق تنبت كالنباتِ إذا سقيت بماء المكرماتِ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين.

مكتب البحوث والدراسات

المحتويات